والحروز والتعازيم والرقى وقد خلفوا لنا مجموعات كثيرة من هذه الطرق والتعاويذ والرقى التي كانوا يستخدمونها .

الطب :

ان الملاحظة التي اوردناها في اول كلامنا عن الرياضيات من تأخر معرفة الباحثين برياضيات حضارة وادي الرافدين تنطبق كذلك على النصوص الطبية التي خلفتهـا هذه الحضارة . فقد تأخر اهتمام الباحثين ايضا بالنصوص المسمارية الخاصة بالطب وفهمها وتفسيرها التفسير الصحيح الى ما بعد حل رموز الخط المسماري بعدة عقود من السنين . ونشطت دراسات النصوص الطبية بوجه خاص الى فترة ما بين الحربيـن العالميتين الاولى والثانية . ويرجع الفضل في ذلك الى ما نشره الباحثون من نصوص طبية كثيرة ومهمة كانت محفوظة في المتحف البريطاني ، وكانت قد اكتشفت في مكتبـة الملك الآشوري الشهير « آشور بانيبال » (القرن السابع ق . م) في نينوى ومعظمها نسخ من نصوص طبية قديمة يرجع عهدها الى الالف الثاني ق . م ووجدت مجموعـات اخرى من النصوص الطبية في العاصمة الآشورية القديمة « آشور » (القريبة من قلعـة الشرقاط) ، وترجع في زمنها الى مطلع الالف الاول ق . م ، وعثر ايضا على مجموعات اخرى مهمة في العاصمة الحثية القديمة حاتوشاش – وتعرف بقاياها باسم بوغازكوي في تركية) ، وتاريخها من حدود القرن الرابع عشر ق . م على ان نظرة الباحثين الى الطب في حضارة وادي الرافدين ظلت حتى الخمسينات من هذا القرن يشوبها الكثير مـن الوهم الناشيء من عدم التمييز ما بين الطب الحقيقي والممارسات السحرية . في حين ان الواقع التاريخي يشير الى انه على الرغم من ان الممارسات السحرية والممارسات الطبية قد وجدت جنبا الى جنب منذ اقدم العصور التاريخية ، بيد ان الطب لم يتطور اوينشأ عن السحر وهو الوهم الذي كان شائعا بين قدماء الباحثين . فأن الحقيقـة التاريخيـة ان الممارسات الطبية ظهرت في حضارة وادي الرافدين منذ اقدم الازمان وهي مستقلة ومتميزة عن الممارسات السحرية وليس ادل على ذلك من ان المصطلحين اللذين اطلقا على الطبيب والساحر مصطلحان مختلفان في جميع الادوار التأريخية ، فقد سموا

Scanned by CamScanner

الطبيب بمصطلح « آسو » ومنه الصفة « آسيتو » A-SU اي الطب والطبابة
ويرجع ان هذا المصطلح مشتق من الكلمة السومرية المركبة A_ZU او IA-ZU
التي ظهرت في الاستعمال منذ العصر الاكدي في منتصف الالف الثالث ق.م وقد
فسر معناها انها تعني العارف بالماء او العارف بالزيت (اشارة الى ان الماء والزيت لهما
دور مهم في الممارسات الطبية) . اما المصطلح الذي اطلق على الساحر المعوذ فهو
« آشيبو » (Ashipu)ومنه الصفة « آشيبشو » (Ashiputu)اي السحر
والتعويذ والتعزيم . وكانت الوظيفة الرئيسية للساحر المعوذ طرد الشياطين والارواح
الخبيثة بالتعزيم والرقي (Exorcisim) وكان من طبقة الكهنة ، في حين ان
الاطباء كانوا صنفا خاصا من ذوي المهن ، وهكذا ورد ذكرهم في شريعة حمورابي
(راجع المواد ٢١٥ - ٢٢٦) ، واختصوا بالعلاج والتداوي اي الممارسات الطبية
الصرفة . ويعزى منشأ الوهم الذي ذكرناه من اعتبار الطب ضربا من السحر والاطباء
سحرة الى تلك الحالات المرضية الخاصة وهي غير قليلة التي كانت تعالج بالطرق
السحرية التي اعتقدوا بأن سببها الشياطين ولكنهم كانوا يعالجونها ايضا بالطرق
الطبية بالاضافة الى التعاويذ والاعمال السحرية المختلفة . ولعله يمكن مضاهاة هذا
الجمع ما بين الطب والسحر في الممارسات الطبية في العراق القديم بممارسات الطب
الحديث الخاصة بالامراض النفسية والعصبية حيث تطبق عليها الطرق النفسية
بالاضافة الى العلاج الطبي الصرف اي استعمال الادوية . وبالاضافة الى ذلك فأننا
اذا اخذنا بنظر الاعتبار اثر الديانة والمعتقدات الدينية في الحضارات القديمة ومنها
حضارة وادي الرافدين فليس من المستغرب اذا عزا القوم اسباب العلل والامراض
الى الشياطين التي تسلطها الالهة على الناس لمعاقبتهم على آثامهم . وكان فن التطبيب
والشفاء نفسه ، مثل سائر شؤون الحياة المختلفة ، يرجع الى الالهة ، فنجدهم
يخصصون بعض الالهة لشؤون الطب والتداوي والشفاء وفي مقدمتهم اله الحكمة
والماء « ايا » (وبالسومرية انكي) ، ويليه في المرتبة آلهة اخرى اشهرهم الاله « ننازو »
(Ninazu) (ويعني اسمه سيد الاطباء) والالهة « كولا » (GULA)ومع ان
النصوص المسمارية قد بدأت في حضارة وادي الرافدين منذ المنتصف الاول من

Scanned by CamScanner

الثالث ق.م ، بيد ان اقدم ما جاء الينا من نصوص تتعلق بالطب والادوية لا تتعدى ازمانها مطلع الالف الثاني ق.م ، وتكاثرت من بعد ذلك الزمن سواء كان ذلك ما وجد منها في العراق ام في مراكز الحضارات القديمة المجاورة مثل الحضارة الحثية التي ازدهرت في الاناضول في منتصف الالف الثاني ق.م ، الامر الذي يدل على اقتباس كثير من الحضارات القديمة معارفها الطبية مع العناصر الحضارية الاخرى من العراق القديم . ويستدل من النصوص الطبية التي اشرنا اليها والارشادات الواردة في النصوص الاخرى كالرسائل والشرائع على ان التخصص الطبي قد ظهرت بداياته في طب العراق القديم منذ مطلع الالف الثاني ، فظهر الاطباء الجراحون ومجبرو العظام والبياطرة واطباء العيون (راجع المواد ٢١٥ - ٢٦٦) من شريعة حمورابي . كما ان الاطباء بوجه عام كانوا على مراتب مختلفة مثل « كبير الاطباء » الذي اطلقوا عليه المصطلح البابلي « راب آسي » Rab- Asi او المصطلح المأخوذ من السومرية « آزوكلو » Azu Gallu . وكان الاطباء يتزيون بازياء خاصة ويحملون حقائب يضعون فيها آلاتهم وادواتهم الجراحية وادويتهم . وقد صور بعض هذه الادوات في الاختام الاسطوانية الخاصة بالاطباء . ووردت اشارات كثيرة الى شهرة اطباء العراق القديم في الاقطار المجاورة وان بعضهم كان يسافر للتداوى الى تلك الاقطار ويرسل البعض منهم الملوك الى اصدقائهم من ملوك الاقطار المجاورة ، ومن ذلك يستدل على انه كان هناك طبقة من الاطباء الرسميين الملحقين بالقصور ويمكننا ان نصف النصوص الطبية التي خلفها لنا اطباء العراق القديم الى صنفين رئيسين هما : (١) النصوص الخاصة بتشخيص المرض (Diagnosis) والانذار او التنبؤ (Prognosis) (٢) النصوص الخاصة بالعلاج والتداوي اي وصف الادوية (Therapeutic) .

وتقتصر نصوص الصنف الاول على مجرد فحص المريض وبيان رأي الطبيب الفاحص اذا كان المريض سيشفى اولا يشفى . وان هذه النصوص تختلط بالاساليب السحرية التي يقوم بها العراف او الساحر المعود . أما نصوص الصنف الثاني فهي على قدر كبير من الاهمية في تاريخ تطور الطب وتقدمه وتتعلق هذه النصوص بوصف الاعراض

Scanned by CamScanner

المرضية ووصف الادويه لشفائها فكانت بمثابة مراجع او ادلة للاطباء الممارسين ومن الامثلة على هذا الصنف من النصوص الطبية العبارة التي وردت عن تشخيص مرض اليرقان ودوائه.واليرقان (Jaundice e) في اللغة البابلية تضاهي الكلمة العربية لفضا ومعنى (Amurruqanu) .

«اذا كان جسم رجل اصفر وجهه اصفر وجسمه آخذ في الاضمحلال فان اسمه (اسم المرض) اليرقان (امور قانو) ، ودواؤه نبات (ابترانو) يسحق ويشرب مع الجعة .»

(عن معجم شيكاغو الآشوري ، حرف A) ، ص ٩٢) . وهناك نوع من هذه النصوص جاءتنا وهي مرتبة على هيئة جداول مقسمة في الغالب الى ثلاثة حقول (خانات) يذكر فيها اسم المرض واسم الدواء وارشادات موجزة في كيفية استعماله على النحو الآتي :

عرق السوس	دواء للسعال	يسحق ويشرب مع الزيت والخمر
ورد عين الشمس	دواء لوجع الاسنان	يوضع مسحوقه على الاسنان

كما ان الكثير من مثل هذه النصوص رتبت فيها وصفات الادوية بحسب اعضاء الجسم الانساني وما يصيبها من امراض كامراض الراس والعيون والانف والحنجرة والصدر والرئتين والمجاري البولية والامراض الجلدية .

ويستدل من النصوص الطبية من كلا النصفين ومن المصادر المسمارية الاخرى مثل شريعة حمورابي والرسائل الرسمية على مانوهنابه من بدايات تنوع الاختصاصات الطبية مثل الجراحة وتجبير العظام وطب الاسنان والعيون وبعض العمليات الجراحية الخاصة بها مثل ازالة الماء الازرق . وقد اكتشف حديثا نص مهم يدل على ان الجراحين مارسوا مايسمى الآن بالعملية القيصرية (CAESARIAN SECTION) ولكنها اجريت في حالات تخليص الجنين من بطن الام المتوفاة .

وهناك أشارات تدل على ممارستهم القبالة وحالات لبعض الامراض العصبية وحالات الضعف الجنسي او العنة ، وقد جمعت في معالجتها الطرق

Scanned by CamScanner

السحرية التعويذية وطرق العلاج الطبي بالادوية . اما التشريح فأنهم لم يمارسوه بوجه عام على الجسم الانسابي ولكنهم عرفوا بعض الاشياء عن حقائق التشريح من فحص احشاء الحيوانات التي تضحى لاغراض العرافة والفأل . ومع ان الاطباء مارسوا جس النبض في بعض الامراض المتعلقة بالقلب ، بيد انه لا يعلم على وجه التأكيد هل عرفوا بعض الحقائق عن الدورة الدموية ونذكر بهذا الصدد ورود بعض المصطلحات البابلية والسومرية الخاصة بالاوعية الدموية المدونة في النصوص الطبية ومن ذلك كلمة « شريانو » المرادفة للعربية شريان لفضا ومنى .

اما الادوية والمفردات الطبية التي استعملوها في علاجاتهم الطبية فيمكن حصرها في ثلاثة مصادر رئيسية هي بحسب كثرتها في الاستعمال . :

(١) الادوية النباتية (العشبية)(Herbal) (٢) الادوية الحيوانية (٣) الادوية الكيمياوية المستخرجة من المعدنيات (MINERALS) . وتاتي الادوية المستخرجة من الاعشاب والنباتات بوجه عام في مقدمة الادوية او المفردات الطبية (Materia Medica) ، بحيث ان الكلمة التي تطلق على الاعشاب في البابلية هي شمو (Shammu) اطلقوها على الدواء بوجه عام . ومما تجدر ملاحظته عن هذه الادوية العشبية ان استعمالاتها في طب العراق القديم تضاهي الى حد كبير استعمالاتها عند الامم القديمة اللاحقة ولاسيما الطب اليوناني الذي كان له تراث كبير في الحضارات الأخرى ومنها الطب العربي . وبلغت صحة استعمالات الادوية النباتية في طب العراق القديم ومضاهاتها للطب اليوناني العربي درجة كبيرة بحيث ان الباحثين المختصين الذين كتبوا في المفردات الطبية البابلية استندوا في كثير من الحالات الى تلك المضاهاة في تعيين اسماء الكثير من النباتات والاعشاب الواردة في المصادر المسمارية . واثبت البحث اللغوي الحديث ان طائفة من اسماء النباتات والاعشاب واسماء المواد الاخرى الواردة في المصادر المسمارية قد انتقلت الى اللغة اليونانية ، وسنذكر بعض الامثلة المهمة على ذلك في الفصل الخاص بتراث حضارة وادي الرافدين وكما ذكرنا تأتي من بعد الادوية النباتية في كثرة الاستعمالات المواد المستخرجة

Scanned by CamScanner

من المملكة الحيوانية وفي مقدمتها بعض الحيوانات اللبونة كالبقر والغنم والماعز والخنزير والكلب والحمار والاسد والذئب والغزال وغيرها ومن الطيور النعامة والصقر والنسر والغراب والبوم والحمام والدجاج . ومن الزحافات والحشرات والافاعي والسرطان والنحل . ويلي ذلك كما قلنا الادوية المستخرجة من المواد الكيمياوية . وانهم استخدموا معارفهم العملية في الكيمياء التي نوهنا بها في تحضير طائفة من تلك الادوية بطرق كيمياوية مختلفة كالخلط والسحق والتركيب مع مواد اخرى والتقطير والترشيح والتصعيد كما انهم استحضروا مراهم ودهونات واشربة مختلفة . وقد عثر المنقبون في مدن العراق القديمة على نماذج من الاجهزة والالات والادوات التي استخدموها في مثل هذه العمليـات

Scanned by CamScanner